

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ جَلِّ وَعَلَا، إِمْتِنَالاً لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ). أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ أَهْتَمَّ الْإِسْلَامُ بِالْأُسْرَةِ الْمُسْلِمَةِ اهْتِمَامًا كَبِيرًا، إِهْتِمَامًا تَقْصُرُ عَنْهُ فَهْمُ
الْبَشَرِ وَقَوَانِينِ الدَّوَلِ الْوَضْعِيَّةِ، قَلِمًا تَجِدُ نِظَامًا يَعْنِي بِشُؤُونَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَالْمَرْأَةِ وَالرَّجُلِ، مِثْلَ
شَرِيعَةِ اللَّهِ، خِلَافَ ادِّعَاءَاتِ تَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ وَحَقُوقِ الْإِنْسَانِ، الَّتِي تَحْمَلُ فِي بَطُونِهَا مَا لَيْسَ عَلَى ظَهْرِهَا، وَقَدْ تَجَلَّتْ
أَهْمِيَّةُ تَأْسِيسِ الْأُسْرَةِ الْمُسْتَقْرَةِ الْأَمْنَةِ مِنْ خِلَالِ وَصَايَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي تُنَمِّذُ خَطَى التَّكْوِينِ
الْأُسْرِيِّ مِنْذُ عَهْدِهِ الْأَوَّلِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَظَفَرُ
بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ). وَالْمَرْأَةُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ هِيَ أَهْمُ شَيْءٍ فِي بِنَاءِ الْأُسْرَةِ وَالْمَجْتَمَعِ، أَوْلَاكَ يَدْعُونَ لِتَحْرِيرِهَا
وَكَأَنَّهَا مَحْتَلَةٌ مِنْ قَبْلِ الرَّجُلِ، يَدْعُونَ لِمَسْخِهَا مِنْ أُنُوثَتِهَا وَسُلْخِهَا مِنْ عِفَافِهَا، يَبْغُونَهَا سَافِرَةً مَكْشُوفَةً، يَقَعُ عَلَيْهَا
الْبَعُوضُ وَالذَّبَابُ، أَمَّا الْإِسْلَامُ فَإِنَّهُ يَعْتَنِي بِهَا وَيُؤَسِّسُهَا لِمَنْعِ الْبِنَاءِ الْمَتِينِ، وَلَيْسَ لِمَنْعِ تَمَلُّقِ الْأَعْيُنِ، وَتَلَذُّ
الْأَبْصَارِ، فَهِيَ مَصْدَرُ التَّغْيِيرِ وَالتَّأَثِيرِ، هِيَ أَسَاسُ الْبَيْتِ وَرُكْنُهُ الرَّكِيْنُ، بِشَرِّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ: (إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ
مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ). وَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الدُّنْيَا فَقَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكَ
بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ الْمَرْءُ؟ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتَهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ). طَاعَةُ
الزَّوْجِ وَرِعَايَةُ الْأَبْنَاءِ وَالْقِيَامُ عَلَى شُؤُونَ الْبَيْتِ وَحُسْنُ التَّرْبِيَةِ، رِسَالَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ وَوُظِيْفَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ عَظِيمَةٌ مَنَاطَةٌ
بِهَا، فَهِيَ لَيْسَتْ سَقَطٌ مَتَاعٌ، أَوْ إِمْعَةٌ اسْتِمْتَاعٌ، إِنَّمَا هِيَ شَرِيْكٌ لِلرَّجُلِ، هِيَ نِصْفٌ دِينِ الرَّجُلِ. النِّسَاءُ شِقَائِقُ
الرِّجَالِ، الْمَرْأَةُ تُنْشِئُ أَبْنَاءَهَا عَلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ وَحَمْلِ رِسَالَةِ الدِّينِ وَوَجِبِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَحُبِّ الْوَطَنِ وَالْوَلَاءِ
لَهُ وَلَوْلَا أَمْرُهُ، وَعَلَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْقِيَمِ السَّامِيَةِ، وَالتَّزْوُدِ بِالْعِلْمِ وَالْمَعَارِفِ. أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: عَلَى الزَّوْجَيْنِ
وَهُمَا يُؤَسِّسَانِ هَذَا الْبَيْتَ الْأُسْرِيَّ، أَنْ يَدْرِكَا أَنْ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، لَنْ يَجِدَ صَاحِبُهُ كَامِلًا، فَالْكَمَالُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى، وَلَقَدْ أَوْصَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالتَّعَايِشِ بِالْمَعْرُوفِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنَّ كَرِهْتُمُوهُنَّ
فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) وَلِيَنْظُرَ الزَّوْجُ وَالزَّوْجَةُ، إِلَى الْإِيجَابِيَّاتِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا، لِأَنَّ
كَثِيرًا مِنَ الْأَزْوَاجِ، يَخْتَصِمُونَ عَلَى مَحَاوِرِ السَّلْبِيَّاتِ، أَنْتِ فَعَلْتِ كَذَا، وَأَنْتِ الَّذِي فِيكَ كَذَا، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوَصِّي الزَّوْجَيْنِ بِخِلَافِ ذَلِكَ: (لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ). هَكَذَا
يُرْسَخُ الْإِسْلَامُ قِيَمَ الْبِنَاءِ الْمَتِينِ، وَالتَّشْيِيدِ الْمَكِينِ، الَّتِي تَقُودُ الْأُسْرَةَ إِلَى السَّعَادَةِ وَالِاسْتِقْرَارِ، وَالنَّمُوِّ وَالِإِزْدِهَارِ.
الْأُسْرَةُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، قَائِمَةٌ عَلَى الزَّوْجَيْنِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، مَعَ تَفَاوُتِ نِسْبِ الْمَسْئُولِيَّةِ، يَتَعَاوَنَانِ عَلَى تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ،
وَإِدَارَةِ شُؤُونَ الْبَيْتِ، وَهَذِهِ فِطْرَةٌ حَتَّى فِي الْبِهَائِمِ وَالطَّيُورِ، فَالزَّوْجُ يَتَعَاوَنُ مَعَ زَوْجَتِهِ، وَيَقْفُ مَعَهَا فِي قِيَامِهَا
بِوَاجِبِهَا، وَهَذَا لَيْسَ عِيْبًا وَلَا مَثَلِبًا، كَمَا يَظُنُّهُ عَوَامُ النَّاسِ، وَجَهْلَةُ الْمُسْلِمِينَ، عَلَى أَنَّ مَسْئُولِيَّةَ الزَّوْجِ فِي وَاجِبِهَا
الرِّجَالِ فَقَطْ، إِنَّمَا تَعَاوَنُهُ مَعَهَا دَلِيلٌ عَلَى نُبْلِ نَفْسِ الزَّوْجِ، وَطَيْبِ مَعْشَرِهِ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَثِيرًا مَا يَنْشَغَلُ بِالْقِيَامِ بِأَعْيَاءِ الرِّسَالَةِ وَشُؤُونِهَا، وَاسْتِقْبَالِ الْوُقُودِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ عِشْرَةً، وَهُوَ خَيْرُ
النَّاسِ لِنِسَائِهِ، وَلَمْ تَمْنَعُهُ كُلُّ هَذِهِ الْأَعْيَاءِ أَنْ يِعَاوَنَ أَهْلَهُ، وَقَدْ سَأِلَتْ عَائِشَةُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا كَانَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: (كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتْ
الصَّلَاةُ حَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ). أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: وَيَنْبَغِي لِلْبَيْوتِ أَنْ لَا يَسُودَ فِيهَا الْإِسْتِبْدَادُ بِالرَّأْيِ، وَالدِّكْتَاتُورِيَّةُ
الْأُسْرِيَّةُ، إِنَّمَا تُخْضِرُ وَتُورِقُ وَتَمُتُّ بِالْحَوَارِ الْأُسْرِيِّ، وَمُنَاقَشَةِ مَا يُطْرَحُ مِنْ أَفْكَارٍ وَأَرَائٍ فِيهَا مِصْلِحَةٌ لِلْأُسْرَةِ
وَمَنْفَعَةٌ لِأَفْرَادِهَا، وَصِيَانَةٌ لِشُؤُونَ حَيَاتِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشِيرُ

بعض نسائه، كما كان يفعل مع أم سلمة رضي الله عنها، فقد كان يأنس برأيها ويعجبه رجحان عقلها رضي الله عنها. أيها المسلمون: لقد كثر في هذا الزمان، أساتذة الرأي، وفطاحلة الكلمة، من الذين يتدخلون في مشاكل الأسر، وخلافات البيوت، دون أن يطلب منهم ذلك، وربما أراد أحدهم أن يحل مشاكل الآخرين، وهو مع بيته واقع في حمأة المشاكل. حماية الأسرة من تدخلات الآخرين أمرٌ ضروريٌ لسلامتها، أو من المقارنات الفاسدة، أولئك عندهم كذا ونحن ما عندنا، أولئك اشتروا كذا ونحن ما اشترينا، فعلى كل من الزوجين ألا ينظر إلى ما في أيدي غيره، وليتقن بما قسم الله له، لأن الله عز وجل قال: (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) كل حسب طاقته وإمكاناته، كما أمر الإسلام أن يصون أفراد الأسرة جميعاً أسرار البيت من أن تخرج خارج البيت، وخاصة ما يكون بين الزوجين من أمور خاصة، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من إفشاء أحد الزوجين أسرار العلاقة بينهما، فإن هذا مما يضعف كيان الأسرة، ويهتك بنيانها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته ونفضي إليه ثم ينشر سرها). أقول قولِي هذا وأسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلِكُمْ..

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليماً كثيراً. أيها المسلمون: هناك أمرٌ غاية في الأهمية، هو الوفاء بين أفراد الأسرة عموماً، وهو أشدُّ مطلوبٍ سيماً عند الكبر، فقد أمر الدين الزوج أن يكون وفياً لزوجته على كل حال والزوجة وفية لزوجها، يحفظ لها حقها، وتحفظ له حقه، ويذكر لها جميلها، ويقدر لها معروفها خاصة بعدما كبرت سنُّها واشتدَّ ضعفها وحاجتها إليه، وكيف لا يكون كذلك وقد جعل الله كلاً من الزوجين سكناً للآخر طيلة حياتهما، وقد سمعنا ورأينا مظاهر من هذا الوفاء والله الحمد في مجتمعاتنا بين الزوج وزوجته وبين الإخوة والأخوات وآباءهم وأمهاتهم ما يثلج الصدر. في دول الغرب الولد يسكن في مدينة أمه وأبيه ولا يزورهم إلا في السنة مرة أو مرتين، أما أنتم أيها المسلمون فأهل وفاء وأهل شيم وخصال كريمة نبعث من عروبتكم قبل أن ينم الإسلام هذه المكارم، قال عليه الصلاة والسلام: (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق). صلوا على متمم الأخلاق ما غابت الأفلاك في الآفاق، كما أمركم بذلك الخلاق. اللهم صل وسلم على محمد.